

ذكريات حبيسة

مجموعة قصصية

عمرو منير محمد

*تجهيزنا لفضيلة: ذكريات حبيسة

* الكاتب: عمرو منير محمد

مراجعة لغوية: الشاعر/محمد فاروق

* رقم الإيداع: ٢٠٢٦/١٧٦٣٥

* الترقيم الدولي: ٩٧٨-٦٣٣-٨٤٤٨-٢٧-١

مشكاة للنشر والتوزيع



كل ما ورد في هذا العمل مسئولية مؤلفه، من حيث الآراء
والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيلاً له غير منقول.

"في داخلي مائةُ فرحةٍ وألفُ حُزنٍ، وما لا يُحصَى
من الآمالِ والحسراتِ، وزُكُنٌ صَغِيرٌ فارغٌ أُخْتَبِئُ
فيه منهم جميعاً"

أنطونيو بورشيا

شاعرٌ أرجنتينيّ

حب افتراضي

لم يكن يخطر على باله، ولو في أثقل الأحلام
وطأة، أن ينتهي حبه لها بتلك الطريقة.

ودّع فتاة أحلامه النموذجية مضطراً، بعد أن اقتنع تماماً
أنه لا يمكن أن يستمر في تلك العلاقة العاطفية
الاستثنائية.

بحزم قالت له مادلين:

علاقتنا وصلت إلى طريقٍ مسدود، لن أستمر في تلك
المسرحية السخيفة.

يا عُمر، أنا مجرد ظلٌّ باهت من زوجتك. أنت لا
تحبني، أنت تحب زوجتك في صورتني، وأنا لا أقبل
ذلك.

كانت كلماتها قاسية على قلبه، ولكنه شعر بأنها نابعة
من عقلٍ صافٍ يعرف أن يُشخّص وضعًا مختلًا بكل
وضوح، دون ارتباك أو تردد.

يعلم عُمر أن ما قالتها مادلين صحيح.

نعم، هي تشبه زوجته السابقة سلوى تمامًا.

هكذا اختارها لكي تكون حُبّه البديل عن سلوى، هذه
المرأة جافة الأحاسيس، شحيحة المشاعر.

سلوى الحالية لم تعد سلوى التي تزوجها منذ أكثر من
عقدٍ ونصف من الزمن. حينها كانت فتاة حاملة، هادئة،
مرحة، تشع إيجابية ورومانسية طوال الوقت، في أي
مكان تتواجد فيه.

تذكّر عندما رآها لأول مرة، وهي تخرج من قاعة
محاضرات الكلية التقنية التي ينتسبان إليها. علي الرغم

من اختلاف التخصص، فإنه كان يعرف معظم فتيات
الدفعة تقريبًا.

خرجت تلك الوردة البيضاء دقيقة الملامح، فارعة
الطول، من المحاضرة بصحبة صديقاتها. وجهها يشع
نورًا غريبًا بملائكته النادرة. غطاء رأسها الأسود يصنع
تباينًا آخاذًا مع وجهها الأبيض المستدير، الذي لم
تشوّهه مساحيق التجميل البائسة كسائر الفتيات وقتها.

حاول عُمر حينها التعرف عليها بكل السبل، لكن
هيهات؛ فالحديث معها، وهي ابنة العائلة الملتزمة دينيًا،
كان أشبه بلمس السحاب.

تداعّت ذكريات عُمر عن حبه الأول والوحيد، بعد أن
أغلق ملف علاقته بمادلين إلى الأبد.

صراع داخلي يستعر في قلبه.

آه يا سلوى، لو كنتِ بنفس شخصية مادلين!

كم حاولتُ أن أجعل قلبك يلين ويعود كما كان، قلب
طفلة صغيرة تسعد بأقل شيء.

لا أعلم كيف تحولتِ إلى هذا الصنم البشري متحجر
القلب.

بعد شدّ وجذب مع نفسه الهائجة كالأمواج المتلاطمة،
اقتنع أن مادلين بالفعل على حق.

لم يكن حبه لها سوى حبّ لهيئة سلوى فيها، على
الرغم من الاختلافات الجوهرية بينهما.

مادلين هي النسخة المتحررة، العاطفية، المثقفة من
سلوى، التي تحولت بعد الزواج إلى التزمت الديني
الشكلي، المصاحب بإنكار المشاعر الإنسانية
والاستهزاء بالحب النقي الهادئ.

كثيراً ما صدمت عُمر وصدّته بسلوكها وكلماتها القاسية:

يا عُمر، لقد كبرنا على تلك الأفعال الصيانية. احترم
سُنك يا رجل. أبناؤك أصبحوا رجالاً وأنت تحدثني عن
العشق والغرام. ماذا حدث لك؟ أهى مرحلة مراهقة
متأخرة تعانون منها أيها الرجال بعد أن تنتفخ جيوبكم
بالمال؟

ظهرت مادلين له كهبةٍ من السماء.

قابلها أول مرة في إحدى المعارض التقنية خارج الوطن.
ذُهل بهذا الأسلوب الراقى في الحديث، والذي اكتشف
أنه يماثل كل أحلامه النموذجية، المعاكسة تمامًا لزوجته
الأولى.

لم يتأخر تعارفهما؛ اندمج عقلاهما وقلباهما بسرعة
مذهلة.

عادا معًا إلى الوطن الأم، والارتباط بينهما في أعلى
مستوياته النفسية والعقلية.

شعرت سلوى بتغير زوجها الحاد. بات يقضي وقتًا طويلاً خارج المنزل.

لا يكثر بوجودها معه، ولا يهتم بأي حديث معها. لم يعد يحاول ترويضها كما كان يفعل منذ سنوات، بل على العكس، تعامل معها بجفاء مماثل جعل قلبها الحجري يحترق في موقد نار هادئ.

واجهته في إحدى الليالي. اتهمته بأنه على علاقة بواحدة أخرى.

لم يهتم باتهامها له، فقد كان مقتنعاً أنه ليس لها الحق في توجيه أي لوم له بعد كل هذه الفترة من الجمود واللامبالاة.

كررت تساؤلاتها له. لم يرد عُمر، وقد ظهرت عليه علامات النصر، بسبب أنه - أخيراً - قد انتقم لرجولته.

بطبيعتها النارية المعهودة، قررت سلوى ترك المنزل بعد أن جمعت ثيابها في حقيبة كبيرة، تنم عن عزمها البقاء في بيت والدها لفترة طويلة، حتى تَلَقَّنَ هذا الزوج غريب الأطوار درسًا لن ينساه في كيفية احترام زوجته وتقديرها، هي التي جعلت منه هذا المهندس الناجح في عمله، وصاحب واحدة من أكبر شركات الإلكترونيات والبرمجة.

هنا، شعر عُمر بأنه بحاجة إلى الحديث مع عشقه الجديد مادلين.

فدخل غرفة مكتبه بالمنزل، وأوصد الباب من الداخل بإحكام.

فتح حاسوبه اللوحي الإلكتروني.

ضغط على أيقونة الذكاء الاصطناعي الحديثة التي اشترى تطبيقها من الخارج في آخر أسفاره.

أخذ يكتب على سطح الشاشة الذكية:

أين أنتِ يا مادلين؟ أريدك فوراً وفي الحال.

ظهرت صورة مادلين على الشاشة، والتي تشبه زوجته سلوى تماماً، لكن بهيئة امرأة أوروبية متحررة، بشعرها الأحمر الداكن، قصير الأطراف، كما اختارها هو عندما صمّم شخصيتها بعد أن غدّى البرنامج بصور زوجته، ولكن هذه المرة طلب مواصفات مغايرة تماماً لشخصيتها التي لم يعد يتحملها.

وأصبحت مادلين النموذج الافتراضي لزوجة أحلامه في هذا التطبيق الحديث.

انتهى الحوار الطويل بين مهندس عُمر ومادلين بحذف المهندس الناجح لملف الذكاء الاصطناعي المعنون بـ"مادلين" إلى الأبد، حيث أدرك كلٌّ منهما أن هذا النوع من الحب هو حب افتراضي ليس إلا.

بمرور الوقت، انتهى خلافه مع زوجته سلوى، وعادت
علاقتهما الزوجية إلى سابق عهدها من الفتور!

قرر عُمر مرة أخرى صنع ملف ذكاء اصطناعي آخر
لامرأة افتراضية جديدة، بمواصفات مختلفة عن مادلين
وسلوى، لبدأ رحلة جديدة مع حب افتراضي بنسخة
متطورة مُحدّثة.

غير تقليدي

لم يكثرثا لأحد..

منذ فترةٍ طويلةٍ لا يعبأ بحالهما أيُّ قريبٍ أو صديق.

وَحْدَةٌ لا نهائية، كأنهما أبطالٌ لإحدى الأساطير اليونانية التي حُكِمَ فيها على الإنسان بالعزلة السرمدية. اتَّخَذَا القرار الصعب، ضربا عرض الحائط بكافة القيود المجتمعية التي تُكَبِّلُ أيَّ علاقةٍ زواجٍ غير تقليدية بأغلال فولاذية من التابوهات الركيكة وغير المبرَّرة.

التقى بها نعمان منذ فترةٍ ليست بالقليلة، وأدرك أنها نصفه الآخر الذي يبتغيه من هذه الدنيا التي يعيش فيها بمفرده.

ظهرت نادية فجأةً في حياته كنجمةٍ سقطت من السماء بعد سلسلةٍ متواليةٍ من التجارب الحياتية الثقيلة على قلب أي إنسان.

غُربة لسنواتٍ مع وحدةٍ مطلقة، انتهت بعودةٍ قسريةٍ مفاجئةٍ بسبب استغناء صاحب العمل الخليجي عنه لكِبَر سنّهِ. واجه بعدها جفاءً عائلياً قاسياً، ثم انفصلاً صامتاً بلا صخب، حفاظاً على "الديكور العائلي".

قرّر الهروب أخيراً، والبحث عن ملاذٍ آخرٍ يحتمي به بعيداً عن عائلته المفككة السابقة. ومع ذلك، وبلا مبالغة، كانت حياة نادية أكثر تعقيداً. امرأة عاملة، قوية الشخصية، مديرة بإحدى الهيئات الحكومية العريقة، تأمر وتنهى كما تشاء في طواير الرجال والنساء ممن تحت قيادتها.

المرأة الحديدية في عملها لم تكن كذلك في بيتها.

اتسمت بضعفٍ بالغٍ أمام إخوتها الصغار الذين تركهم لها والداها يتامى بعد وفاتهما في حادث سيارة.

مرّ الوقت عليها وهي منهمكة في عملها الشاق
المختلط بتربية إخوتها. لم تقبل بأي زيجة خوفاً على
عملها وإخوتها. مرت السنون، وما هي تتزوج بعد
اختفاء كل ما سبق من حولها، بعدما صنع إخوتها
حيواتهم الخاصة دون أن يضعوها في الحسبان. ظهر
الزفاف في أفضل حال. نعمان ونادية يرتديان أبهى
ثيابهما الرسمية المعتادة في المناسبات المهمة.
أصدقاؤهما الجدد في غاية السعادة والفرح.

أصرّ الجميع على صنع حالةٍ من البهجة والسرور، وعلى
الرغم من اختفاء معالم الفرح التقليدية مثل معازيم
الأقارب والجيران والزملاء، فإن الحضور كانوا أكثر من
الأهل الراضين لتلك الزيجة "المخجلة" في رأيهم.

الزفاف أشبه بحفلةٍ نظّمتها شخصيات خيالية متحوّلة
كتلك التي في قصة "الجميلة والوحش"، حيث

تشكّلت الفناجين والشموع والساعات على هيئة خدم
الحفلة.

وجه الشبه أن التحوّل في زفاف نعمان ونادية كان
لمجموعةٍ من بسطاء المكان. نوسة، عاملة النظافة،
ارتدت أفضل ثوب سواريه استطاعت أن تستأجره من
منطقتها الفقيرة لتُظهر به - على استحياء - علامات
الأنوثة الخفية أسفل ثوب العمل.

قامت بواجب تقديم المشروبات للمعازيم، وإطلاق
الزغاريد في أرجاء المكان لتنشر البهجة في الهواء الذي
يتنفسه ضيوف الحياة.

تلك الفتاة المجتهدة "هبة" تابعت خطوات الحفل،
حيث ذكّرتها بحفلات الأسر الجامعية التي اعتادت
إعدادها أثناء دراستها في كلية التجارة قبل تخرجها
للعمل في هذا المكان الهادئ.

تأكّد الطيب يحيى أيضاً، بدوره، من استخراج شهادات الكفاءة الصحية للعروسين بعد اصطحابهما إلى المستشفى بسيارته الخاصة.

جلست نادية بجوار نعمان في الكوشة المصنوعة على عجل من مقاعد الإدارة. قبض نعمان على يدها في سعادة ممزوجة بالخوف. تخيّل أن أولاده قد تناهى إلى علمهم خبر زيجته، فيقومون بإفساد الزفاف المنتظر.

أدركت نادية مخاوفه من عينيه اللتين تتجولان بشكلٍ إداريّ في كل الاتجاهات. فقد عركتها الحياة، وجعلتها خبيرة في قراءة لغة العيون من خوفٍ وفرحٍ وشوقٍ واطمئنان.

ولكنها على عكسه، لم تعبأ بإخوتها أو بأي شخصٍ كان، فقد أبلغتهم بكل حزم ووضوح، وبلا أدنى تردد أو تفكير، كقائدةٍ سابقةٍ مُحَنِّكةٍ في الجهاز الحكومي المصري،

اتخذت القرار رغم اعتراض إخوتها الصريح، فلم تهتم
أو تفكر في رفضهم الناتج عن أسباب اجتماعية بلهاء
تُخفي طمعًا دفينًا فيما جمعته خلال رحلة عملها الطويلة
من مدخرات.

دَقَّت عقارب الساعة لتعلن العاشرة مساءً.

بدأ القلق والتوتر يسريان في المكان الذي تملؤه أجواء
السعادة نادرة الحدوث.

لم يصل الأستاذ رمضان إلى الزفاف، وهو المسؤول عن
إحضار المأذون من مكتبه الشهير. دقات قلبا نعمان
ونادية تتسابقان كجوادين يجرّان عربة متعشرة في الطمي
الناعم.

ما الذي حدث وأدّى إلى تأخر حضورهما؟

هل هناك مانع؟ هل من الممكن أن ينتهي اليوم دون
عقد قرانهما المنتظر؟

في خضم التفكير والقلق، ظهر أخيرًا رمضان وهو يدخل من الباب الرئيس، ومعه الشيخ عطية، مأذون ذلك الحي الراقي، ببدلته الإفرنجية الشبابية التي تتناسب مع مستوى الحي الاجتماعي.

طلب رمضان من نوسة أن تُطلق زغرودة من زغاريدها مدفعية الطابع لتعلن بداية مراسم الاحتفال.

ارتسمت السعادة على وجوه الحضور. عاد ضيوف المكان إلى الورااء عقودًا.

تذكروا أخيرًا أنهم على قيد الحياة، وأن الحياة لا يزال بها الكثير والكثير من مظاهر الربيع.

بدأت مراسم عقد القران، المأذون مخاطبًا نادية:

- أتقبلينه زوجًا لك؟

- لترد نادية بثباتٍ وثقة: زوجتُك نفسي على كتاب الله وسنة رسوله، وعلى الصداق المسمى بيننا. انطلقت

قذائف نوسة من الزغاريد مدوِّية في المكان. حتى
أستاذة هبة شاركت - على استحياء- بزغرودة رقيقة
تناسب مع طبيعتها الخجولة.

استمر الزفاف وسط فرحة الزملاء لمدة ساعة ونصف،
لينتهي بمغادرة الجميع إلى غرفهم.

في اليوم التالي، استيقظ العروسان في دُعر على صوت
طرقات الباب، وصوت نوسة تناديهما في سعادة غامرة:
أستاذ نعمان، أستاذة نادية، مبروك، خبر فرحكم طلع
في الجرايد.

فتح نعمان الباب في هلع، وانتزع منها الجريدة.

أدركت نادية سبب خوف زوجها.

قرأ نعمان الخبر بصوتٍ عالٍ لزوجته بعد ارتدائه نظارته
الطبية للقراءة:

"سبعينان يُتَوَّجان قصة حبّهما بالزواج في دار
المُسنين".

عمل سفلي

انتفض الحيُّ بأكمله لسماع هذا الصخبِ. صوتُ
شجارٍ مُدوّ يصدُرُ من بيتِ الأستاذِ الجامعيِّ د. عبدِ
الوهاب، وهو من البيوتِ التي تتصدّرُ المنطقةَ في
الهدوءِ وكتمان السرِّ.

صراخٌ عالٍ محتدّ متداخل بين حناجرٍ متعددة الطبقات؛
لم يستطع الجيرانُ معرفةَ فحوى هذا الشجارِ أو سببه.
كلُّ ما سَمِعُوهُ حالةٌ فوضى تعتري منزلَ الدكتور، مما
دفعَ ساكني العماراتِ المجاورةِ إلى التحركِ نحو منزله
مندفعين كالجرادِ فربّما يكونُ ذلك سَطوًّا مسلّحًا على
المنزلِ الهادي الذي يقطنه هذا الرجلُ المحترمُ مع أبنائه
بعدَ أن أسَّسه فورَ عودته من دولِ النفطِ الخليجيّةِ في
مهمةٍ تدريسيّةٍ مُعارا في إحدى جامعاتها.

اتصل أحد أصحاب المحال في الحي ببوليس النجدة طالباً من الشرطة أن تأتي على عجل لإنقاذ هذه العائلة المذعورة، بسبب لا يعلم أحد درجة خطورته.

صوت (سرينة) البوليس يملأ الأثير ويُشعر السكان بالطمأنينة. وصلت سيارة النجدة على عجل خلال دقائق...

ترجل رجال الشرطة من السيارة مهولين صوب المنزل. صوت طرقاتهم القوي على البوابة الخشبية كان مدوّياً.

فتح د. عبد الوهاب الباب لهم في عجلة، مستغيثاً بهم أن يُنقذوه ممّا هو فيه.

المشهد صعب الوصف: كل أثاث المنزل مقلوب رأساً على عقب، النوافذ الزجاجية مهشمة على الأرض، البيت تعمّه الفوضى، والابن الأكبر ياسر يعتلي وسط

منضدة الصلاة في حالة هياج تامّ يصرخ في الجميع
هلعًا:

- لا أحد يقترب مني... لا أحد يقترب مني... أعلم أنّ
الكائنات الفضائية أرسلتكم لكي تنالوا مني... لا أحد
يقترب... لا أحد يقترب...

حاول الأب والأم تهدئة هذا المراهق الثائر، الذي
تبدلت أحواله مؤخرًا؛ اعتزل العائلة والأصدقاء ولم يعد
يكثرُ بدراسته، وأخيرًا تصاعدت الأمور لتصل به إلى
الهياج العارم وتهشيم كل ما يحيط به في المنزل، مرددًا
تلك العبارات عن قرب وصول الفضائيين الذين
يستعدون لاحتلال كوكب الأرض.

قام رجال الشرطة بالسيطرة على الشاب وقيدوه حمايةً
لوالده وعائلته من حالته التي يصعب التحكم فيها.

استدعى الأبُ على عَجَلٍ طبيبًا متخصصًا في الأمراضِ
النفسيةِ والعصبيةِ بعد أن تواصلَ هاتفياً مع أحدِ مراكزِ
العلاجِ النفسيِّ الشهيرةِ في المدينةِ.

تنفّستِ العائلةُ الصعداءَ بعد أن غرِقَ هذا الشابُّ الشائِرُ
في سُباتٍ عميقٍ بعدَ حقنهِ بمهدئٍ قويٍّ، إذ شخّصَهُ
الطبيبُ بحالةٍ هياجٍ حادٍّ ناتجةٍ عن فصامٍ عقليٍّ، ونصحَ
العائلةَ باللجوءِ إلى المركزِ الطبيِّ المتخصصِ في علاجِ
مثلِ تلكِ الحالاتِ.

فتحَ الأبُ بابَ المنزلِ لأهلِ المنطقةِ من الزائرينَ؛
عيونُهم تملؤها تلكُ الحسرةُ على حالِ الأستاذِ
الجامعيِّ المسكينِ، الذي ابتلاهُ القدرُ بابنٍ مُصابٍ
بالجنونِ على حدِّ قولهم.

نظراتُ الشفقةِ في عيونِ الجيرانِ اخترقت قلبَ العائلةِ
المكلومة؛ لم يتحمّلْ د. عبدُ الوهابِ رؤيةَ ولدهِ بتلكِ
الحالةِ المزريةِ، كأنَّ العلاجَ سيَجْعَلُهُ جثَّةً هامدةً.

انتهت زيارة أهل الحي للعائلة، وبعضهم يضرب كفاً بكف من الحال التي وصلت إليها تلك العائلة الوديعه.

حاولت الأم إثناء زوجها عن إصراره على إيداع ابنهم في إحدى المصححات النفسية الواقعة على أطراف المدينة معتقدة أن قراره هذا يلقي ابنها في خضم بحر متلاطم الأمواج.

لم يكثر رب العائلة لتوسلاتها النابعة من خوفها على تركه في حالته الصعبة في مكان بعيد عن أعينهم وهو بتلك الحالة المؤسفة.

اتفق الأب مع القائمين على تلك المصححة على نقل الابن بعد منتصف الليل، بعيداً عن أعين أهل المنطقة، الذين صنفوا بالفعل منزل د. عبد الوهاب بأنه يأوي إنساناً مسه الجنون، مما يجعله خطراً مُحتملاً على نفسه وعلى الآخرين.

تمَّ نقلُ الابنِ كما أرادَ، وأخذتِ العائلةُ في تنفيذِ باقي
الخطَّةِ المَوْضوعةِ بعنايةٍ من قِبَلِ ربِّ البيتِ.

أشاعَ الأبُّ بين سَكَّانِ الحَيِّ أنَّه سينتقلُ هو وعائلتهُ إلى
منزلٍ أَقاربِهِ في الرِّيفِ حتَّى يستجمَّ الابنُ ذُو الأعصابِ
المَحترِقَةِ بما تتمتَّعُ بِهِ القريَّةُ من هدوءٍ وسكينةٍ.

تركَ الأبُّ وعائلتهُ المنزلَ ومكثوا في شَقَّةٍ مفروشةٍ
بمكانٍ مجاورٍ للمصحَّةِ النفسِيَّةِ التي وُضِعَ فيها ابْنُهُم.
مرتِ الأيَّامُ ثَقِيلَةً على صدورِهِم. تابعَ الأبُّ حالةَ الابنِ
بشكلٍ يوميٍّ ذهابًا وإيابًا إلى المصحَّةِ. وافقَ مضطرًّا
على إخضاعِ الابنِ لجلساتِ نَظْمِ موجاتِ الدماغِ بالتَّيارِ
الكهربائيِّ.

بعد متابعةٍ دَقيقَةٍ وعلاجٍ متواصلٍ ورعايةٍ نفسِيَّةٍ وسلوكِيَّةٍ،
تَلَقَّى الأبُّ مكالمةً تُبشِّرُهُ بتَحسُّنِ حالةِ ولَدِهِ وأنَّه يَمكُنُ
استكمالُ العلاجِ بالمنزلِ.

غمرتِ الفرحةُ العائلةَ حينَ رأوا ياسرَ يدخلُ عليهم الشقةَ مع أبيه بعد أن عادَ إلى حالته المتزنة السابقة مع ما يشوبها على فتراتٍ من عدم التركيز وقلة الكلام.

شعرَ أهلُ الحيِّ بعودةِ العائلةِ إلى منزلهم؛ قرر بعضهم الاتفاقَ على موعدٍ لزيارة د. عبد الوهاب للاطمئنانٍ عليهم وللترحيبِ بهم بعد عودتهم من رحلة الاستجمام من أجل الابن الذي أصابه الجنون المفاجئ كما اعتقد معظمهم.

توقع الأستاذ الجامعي تلك الزيارة واستعدَّ لها جيّدًا هو وعائلته؛ فقد نجح العلاجُ الدوائيُّ والجلساتُ النفسيةُ في إعادة الابنِ تدريجيًّا إلى الحياة.

أطلقتِ الأمُّ البخورَ الهنديَّ الفاخرَ في كافة أرجاء المنزل؛ أدارَ الأبُّ الراديو على إذاعة القرآن الكريم كعادته، ولكن هذه المرةَ تعمَّدَ رفعَ الصوتِ بدرجةٍ تصل إلى أسماع من يجلسُ في غرفة الصالون من الضيوف.

دخل الأبُ بصحبةِ ابنه وقد ارتدى جلبابًا أبيضَ وعلّقَ في عنقه مسبحةً طويلةً من الكهرمانِ الأسودِ. جلسَ الأبُ وابنه مع الضيوفِ بعد أن تناولَ الابنُ جرعةً اليوميةً من العلاجِ.

لاحظَ الأبُ نظراتِ الشفقةِ والخوفِ في أعينِ ضيوفه من الجيرانِ، الذين لم ترتفعَ أعينُهم عن الابنِ الجالسِ بهدوءٍ وثباتٍ. هنا أدركَ د. عبدُ الوهابُ أنَّ اللحظةَ سانحةً لإكمالِ خطّتهِ الموضوعةِ من البداية، فبدأَ في الحديثِ مع الضيوفِ عما حدثَ لولدهِ في الفترة الأخيرة:

- الحمدُ لله... ربّنا سترها معنا وعرفنا سببَ ما حصلَ للولدِ... ربنا ينتقم من اللي كان السبب!

نظرَ الجيرانُ إلى بعضهم البعض مُندهشينَ من كلماتِ د. عبدِ الوهابِ المبهمةِ.

لَمْ يَدْعُهُمْ يَفْكَرُونَ كَثِيرًا فِيمَا يَقْصِدُهُ بِكَلَامِهِ هَذَا؛
بَاغَتْهُمْ عَلَى الْفَوْرِ قَائِلًا:

- واحد ابن حرام من المنطقة هنا عمل للولد عمل
سفلي، ودفنه في مقبرة بره البلد... حسبي الله ونعم
الوكيل فيه... الحمد لله على كلِّ حال؛ قدرونا بفضلِ الله
تعالى أن نفكَّ العمل. ربَّنَا يبارك في شيخ مبروك من
عائلتنا قدر يوصل للعمل ويفكه بإذنِ الله، الحمد لله
راح السحر اللي كان على الولد، وعن قريب سنعرف من
الذي عمله وسنتقم منه بإذن الله.

ظهرت علاماتُ القلقِ على وجهِ الضيوف. تردَّدَ بعضهم
بالنظرِ إلى بعض، محاولين التكهّن بهذا الشخصِ الذي
قام بهذا الفعلِ الشائنِ في حقِّ ابنِ د. عبد الوهاب،
والذي استطاعَ أخيرًا النجاةَ من سحرِ هذا العملِ
السُّفلي الذي كادَ أن يحوِّله إلى مجنونٍ في نظرهم.

هروب

فتح عينيه في لحظة حاسمة ليرى الظلام الدامس
يملاً الخيمة. على الرغم من هذه العتمة المحيطة كستارٍ
هبط من السماء على الأرض... فإن صوت خريبر مياهِ
الشلال في الجدول المجاور بدا باعثاً على السعادة
والهدوء اللذين افتقدتهما منذ ساعاتٍ طوال.

قرر النوم على هذا الصوت العذب المختلط بأصوات
الطيور والعصافير المغردة والمعلنة عن بداية عودة
الحياة إلى تلك الغابة الهائلة بعد انتهاء الليل المغتصب
للغابة لساعات...

بالتدريج انتقل عقله المتوتر إلى حالة النوم السرمدية
التي يتمنى أن تطول قدر المستطاع...

بمجرد أن نام بعمق ..خرجت الكوابيس المؤرقة من
أعماق الذاكرة كأشباحٍ تبحث عن فوهة قمقمٍ لتخرج
إلى الحرية، بعد أن التقط عقله الباطن اللجام ليسيطر
بالكامل على عقله الغارق في شقاء الحياة اللامتناهي.
نفس الأحلام المزعجة تتكرر دائماً...

شخصٌ قصير، شاحب الوجه، نحيل الجسد، مرتعد،
يجري مسرعاً وسط بناياتٍ شاهقة تناطح السماء
كتماثيل إغريقية ضخمة... يطارده رجال عصاباتٍ
مسلّحون يحاولون اللحاق به ؛ ليفتكوا به، لكنه يجري
مسرّعاً في هرولةٍ تكاد تفقده السيطرة على جسده
الهزيل، محاولاً الهروب من هؤلاء الرجال المصممين
على الوصول إليه...

في لحظةٍ حرجة، ألقي أحد رجال العصابات بلمبةٍ
حديدية باتجاه الضحية الهاربة من قدرها، لتلتف البلمبة
في الهواء محدثةً صوتاً مميزاً حاداً ناتجاً عن اختراق

نصلها الحاد للهواء المحيط الذي تقطعه في عجلةٍ من
أمرها... يقترب هذا الصوت بشكلٍ مرعبٍ من الضحية،
للتعالى ضربات قلبه وتتصبب جبهته عرقاً، ليقف بلا
إرادةٍ منتظراً مصيره المحتوم...

هنا .. استيقظ الشاب من كابوسه المتكرر ليعود إلى
خيّمته المظلمة مرةً أخرى بعد أن شهق شهقةً عالية
الحدة و كاد قلبه يتوقف من شدة الخوف والهلع...

قرر أخيراً ألا يعود للنوم مجدداً، على الرغم من جسده
المتعب في عمله اليومي المرهق... فقد خرج إلى
الغابة تاركاً خيمته الهائلة...

لامست أشعة الشمس الدافئة وجهه بعد أن احترقت -
كثعابين شفافة- تجاويف فراغية دقيقة بين أوراق
الأشجار المتعانقة. مشى على الأعشاب الخضراء
بقدميه الحافيتين، مستمتعاً بقدرة الخالق في صنع تلك
الغابة الخلابة...

تحرك نحو جدول الماء بهدوءٍ ليلقي نظرةً على
شفافيته، وانبهر للغاية برؤية الأسماك المتنوعة الألوان
التي تسبح بانسيابية داخله، لتصنع مشهداً فنياً بديعاً.

وبينما يتابع حركة الأسماك الراقصة، تنأى إلى سمعه
صوت حركةٍ خاطفة لخطواتٍ سريعة لأقدامٍ خفيفة
تهجري مسرعةً على أوراق الشجر الجافة المتساقطة في
أرجاء الغابة.

التفت إلى مصدر الصوت ليرى غزالاً رشيقة تقف على
بُعد أمتارٍ منه، تتناول الحشائش الياقة بنهمٍ واطمئنانٍ.

كانت وقفتها الشامخة بلونها البنيّ الذهبيّ ترسم لوحةً
زيتية جديدة تُضاف إلى تلك اللوحات العديدة الراسمة
لهذا المشهد الطبيعي الذي لم يُخدش حياؤه بأي تدخلٍ
بشريٍّ متطفلٍ. حاول الاقتراب منها تدريجياً أملاً في
ملامسة جسدها الرشيق. تحرك في خطواتٍ مدروسة
متجنباً إحداث أي صوتٍ قد يبعده عن هدفه المنشود.

فجأة... صوت جرس عالٍ يرن بقسوةٍ ليقطع الاستمتاع
بتلك الأجواء الساحرة... سرى في جسده تيارٌ كهربائيٌّ
عالي الشدة... أدرك أن زيارته للغابة الساحرة قد انتهت
في ذلك اليوم الاعتيادي.

أجبره صخب الجرس على الخروج من الغابة مسرعاً،
أزال مُرغماً عن عينيه تلك النظارة المستطيلة الضخمة
سوداء اللون، والتي اشتراها من إحدى متاجر
الإلكترونيات الشهيرة بالمدينة...

وضع نظارة الواقع الافتراضي على المنضدة بحرصٍ،
خوفاً عليها من أي خدشٍ قد يصيبها ويمنعه من تلك
المتعة الليلية المنتظمة، فثمنها غالٍ لا يستطيع مرتبه
القليل تحمّله مرةً أخرى... تحرك بخطواتٍ متثاقلة إلى
النافذة الوحيدة في شقته الصغيرة الواقعة داخل
المجمع السكني المكتظ بعشرات الوحدات السكنية
الاقتصادية...

نظر إلى الشارع المزدحم بالسيارات المتلاصقة
والمتناحرة، التي تخرق ببطء هواء المدينة المشبع
بعوادم رمادية اللون تصنع ما يشبه الضباب الكثيف...
أشعل سيجارة شعبية الانتشار وأخذ يطلق دخانها في
الهواء، بينما يتابع حركة المرور في تلك المدينة التي
هبت عن بكرة أبيها في نفس التوقيت المبكر ليتوجه
سكانها في قدرٍ محتومٍ إلى أعمالهم اليومية الضاغطة...

الشوكولاتة التي ساحت

مشهدٌ لا يتكرّر كثيرًا في هذا المول التجاري
الشهير الذي يعجّ بأرقى العلامات التجارية العالمية.

رجلٌ آمنٌ يرتدي زياً مميّزاً عليه شعار المكان الضخم
يقف أمام امرأةٍ قصيرة القوام، هزيلة الجسد، ترتدي ثياباً
سوداءً بالكامل ، وتقبض بيدها على يد طفلةٍ صغيرةٍ
تحملُ حقيبةً مدرستها على ظهرها.

أصرّ رجلُ الأمن، الذي تتسم ملامحه بالغلظة الشديدة،
على تفتيش حقيبة الطفلة المدرسية.

لم أعلم أنا وغيري ممّن يقفون في طابور دفع فواتير
المشتريات ما الذي جعل رجل الأمن يُصرّ بهذا الشكل
على تفتيش حقيبة طفلةٍ لم تتجاوز الأربع سنواتٍ من
العمر.

تركْتُ الصفَّ الذي لم يكثر فيه أحدٌ غيري من
مرتادي هذا المول لهذا الإصرار الغريب، وتوجَّهْتُ نحو
رجل الأمن لأفهم ما يحدث.

تعجَّبتُ من حالة اللامبالاة التي ارتسمت على وجوه
الحضور حولنا... هل هذه الحالة طبيعية للمتدَّرين
على هذا المكان؟

لا أعلم، فأنا لا آتي هنا إلا في أوقات التخفيضات
المعلنة على بعض السلع التي تملأ بعض متاجر المول.
سألتُ رجل الأمن في تعجَّب:

- خير يا فنديم... البنت عملت إيه؟

فأجابني بسرعةٍ ممزوجةٍ ببرود:

- يا أستاذ... خليك في حالك دي إجراءات أمنية، وده
مش شغلِك.

كان ردّ رجل الأمن جافاً، وأصرّ على تفتيش حقيبة
الطفلة. لم تجد الأمُّ الخائفةُ مَفَرّاً من الرضوخ لطلبه،
ففتحتِ الحقيبةَ تحت إحدى الكاميرات لضمان تصوير
المشهد بالكامل.

سقطتُ المفاجأة على رأس الأم كالصاعقة. عثر رجل
الأمن على قطعة شوكولاتة كبيرةٍ مستوردةٍ موجودةٍ وسط
كراسات الطفلة، ويبدو أنها لم تتحمّل الحرارة فذاب
جزءٌ منها داخل الحقيبة.

نظر إليّ رجل الأمن وقد ارتسمتْ على وجهه علاماتُ
النصر، فقد حقّق إنجازاً بالقبض على سارقٍ مُتلبّسٍ.

هنا ضغط الشابُّ زرَّ الجهاز اللاسلكي ليستدعي
رئيسه. انهارت الأم وهي تبكي، وأكّدت لرجل الأمن
أنها لا تعلم شيئاً عن قطعة الشوكولاتة. باغتها الشاب،
الذي يبدو من هيئته أنه ينتمي إلى إحدى المناطق
الشعبية بالعاصمة، قائلاً:

- بِنْتِكَ حَرَامِيَّةٌ يَا مَدَامَ، وَإِنِّ غَالِبًا أَلِيَّ مَعْلَمَاهَا
السَّرْقَةُ!

لم أفهم سبب حدّة رجل الأمن؛

تدخلتُ لإنهاء الموقف بطلب دفع ثمن قطعة
الشوكولاتة للطفلة، فهي باهظة الثمن بالنسبة للأم وبينما
أحاول حلّ المشكلة، ظهر مسئول أمن المول بقامته
القصيرة وكرشه المتهدّل، ورفض طلبي بعد أن أعطاني
محاضرةً في كيفية تطبيق القانون على السارق، وأصرّ
على تطبيق غرامة السرقة على الأم التي - على حدّ قوله
- لم تُعلّم ابنتها الفرق بين الحلال والحرام.

بعد جدال طويل، وفي ظلّ بكاءٍ متصاعد من أمّ الطفلة،
وإصرار مسئول الأمن على معاقبة السيدة وابنتها، وسط
صمتٍ مطبق من زبائن المول الذين شعرتُ أنهم يؤيّدونه
بشكل ضمنيّ.

قررتُ أنْ أنهي الموقف بقبولي دفع الغرامة المالية المطلوبة في قانون هذا المول، وهي ألف جنيه نقدًا، مع دفع ثمن السلعة.

دفعْتُ الغرامة، وتُركتُ السيدة وابنتُها تذهبان إلى حال سبيلهما. وبعد أن تأكدتُ من تحرّر الأم والطفلة، عدتُ مرة أخرى إلى مسئول الأمن.

في حديثٍ مقتضب، طلبتُ منه الحصول على إيصالٍ بالمبلغ المدفوع كغرامة، وقطعة شوكولاتة مُجمّدة بدلًا من تلك التي ذابت بفعل الحرارة وتمّ دفع ثمنها وتُركت بحوزة رجل الأمن.

يبدو أن مسئول الأمن كان مستعدًّا لمثل هذا الطلب؛ فالإيصال المختوم بختم المول وجدته في انتظاري؛ لأن ذلك من تعليمات مالك المول التجاري، الذي لا يقبل -حسب تعبير رجل الأمن - أن يستغلّه اللصوص

ويستهينوا بتجارته وَيَسْطُوا على ممتلكاته، وهو حارسٌ
مؤتمنٌ على مال مالك المكان.

بعد دقائق من مكوثي في مكتب الأمن، دخل أحد
العاملين وهو يحمل شوكولاتة مستوردةً جديدة، ومعها
الشوكولاتة التي ساحت في حقيبة الطفلة، موضوعتين
في كيسٍ بلاستيكي شفاف.

خرجتُ من المول التجاري الشهير كمن خرج من سجنٍ
منيح، وأنا أحمل الكيس بعبوتي الشوكولاتة.

المنطقة المحيطة بالمول صحراوية الطابع، حيث يقبع
هذا البناء الضخم كواحةٍ مهيبَةٍ من الخرسانة في قلبها
الأصفر، فوق أرضٍ يُشاع أن رجل الأعمال الشهير،
صاحب النفوذ والعلاقات المتشابكة، استولى عليها
بوضع اليد وفرض الأمر الواقع. انتظرتُ سيارة أجرة
تقلّني بعيداً عن المول إلى أقرب محطة مترو؛ فأنا لستُ

من مرتادي المولات ممّن يملكون رفاهية السيارة
الخاصة ذات النفقات اليومية الضاغطة.

وبينما أنتظر أمام المول، ظهر في الأفق سربٌ من
السيارات السوداء التي تتحرك نحو المكان. وقفت
السيارات أمام بابه الرئيسي، وهبط أحد الحرس
الشخصي ليفتح الباب لصاحب السيارة الأفخم بينها.
خرج رجلٌ سمينٌ الجسد يحمل سيجارًا سميكًا يدخّنه
في استمتاع، واصطفّ رجال أمن المول على جانبيه
كأنهم حرسٌ شرفٍ في استقباله، وعلى رأسهم مسئول
أمن المول.

راودتني نفسي أن أذهب نحو رجل الأعمال الشهير
وأقدم بشكوى له بما بدر من مسئولي الأمن في
المكان الذي يملكه وبينما أفكّر في المحاولة، إذ ظهر
لي في الأفق ميكروباص بدتُ جدرانُه المعدنية كسرابٍ

واضح بفعل حرارة الشمس، يغطي على سراب الصحراء
نفسها.

وقف الميكروباس، فدفقتُ داخله وجلستُ بجوار أبٍ
قرويٍّ يغطي رأس طفله بقماش عمامته الصعيدية
الأبيض، ويبدو على الفتاة التعبُ من شدة الحرارة.

لم أجد شيئاً أفعله لتلك الطفلة المرهقة من شدة الحرِّ
سوى أن أخرج من الكيس الذي بيدي إحدى عبوتي
الشوكولاتة وأعطيها لها في محاولةٍ لإسعادها.

شكرني والدها، وقد وجد ابنته تلتهمها بنهم بمجرد أن
أمسكت باكو الشوكولاتة المستورد الذي لم تكن تتوقع
الحصول عليه في مثل هذا الجو الصعب. لا أعلم كيف
لاحظت الطفلة باكو الشوكولاتة الآخر في الكيس...
هنا، وبغفويةٍ فطرية، طلبتُ منّي عبوة الشوكولاتة
الأخرى.

كان ردي عليها سريعاً ودون تفكير:

- هذه الشوكولاتة ليست لي، ولكنّها لطفلةٍ في سنّكِ
نسيّتها في المول التجاري الكبير الذي يظهر هناك
وسط الصحراء، وللأسف تركتها بالخطأ في حقيبتها
حتى ساحت!

سوشيال ميديا

آمنَ دائماً بقدراته وذكائه... اعتقد هذا المهندس الشاب، ثلاثيني العمر، أن تخصصه في علوم الحاسب الآلي والبرمجة يمكنه من فعل أي شيء، بشكل مماثل لقدرات الأجهزة التي يتعامل معها...

استطاع ياسر أن يحفر له مكانة مرموقة في عالم الكمبيوتر في القاهرة المعز... الجميع يحتاجون إلى خبرته الواسعة وموهبته في صنع البرامج الكمبيوترية المعقدة التي تقوم بكافة المهمات المطلوبة للشركات والمؤسسات... يعمل بشكل متواصل في مكتبه داخل منزله الجديد بأحد كومبوندات العاصمة الفارحة، والذي انتقل إليه حديثاً من شقته في عمارة والده بحي السيدة زينب العريق...

يصمم البرامج المعقدة بينما يسمع موسيقاه المفضلة
الصادرة من سماعات ضخمة حوله، تجعله يضرب على
مفاتيح الكمبيوتر أمامه كمن يعزف سمفونية موسيقية
عالمية على آلة بيانو...

لم يشأ أن يبقى مقيمًا في نفس البناية التي يقيم فيها
والداه، حيث ينهالان عليه بمطرقة طلبٍ ثقيلٍ ووحيد...
يعرف المهندس الشاب أن هذا الطلب ضرورة حياتية
له، لكنه يحتاج دائمًا كعاداته، إلى وقت للتفكير في
طلبهم ووضع مخطط للبحث عن شريكة حياته، كما
يضع مخططات برامجه الحوسبية متشابكة الأبعاد...

منزله الجديد تم تشييده على أحدث طراز... مجهز
بكافة إمكانيات الرقمنة من خطوط اتصالات عالية
السرعة وأجهزة كمبيوتر ضخمة فائقة الإمكانيات، مع
خادمين من أصل إفريقي يقيمان معه للاهتمام بشؤون

البيت الحديث من رعاية الحديقة ونظافة المنزل وإعداد الطعام.

أثناء عمله على صنع أحد البرامج المتعاقد عليها مع أحد البنوك، فوجئ ياسر بجرس باب المنزل يرن بشكل متواصل، معلناً وصول ضيف لا يحتمل الانتظار...

فتح الخادم الباب بهدوئه المعتاد ليجد والدَي ياسر يخترقان الباب مسرعين إلى الداخل... سمع صوتهما وأدرك أنه أمام زيارة مفاجئة من عائلته التي اختارت مقاطعته لفترة من الوقت بهدف الضغط عليه للزواج، بعد أن رفض كل العروض المقدمة له من الأهل للارتباط بإحدى فتيات العائلة...

أعلنها بوضوح: لن أتزوج بهذه الطريقة... نحن نعيش في عصر التكنولوجيا والرقمنة، كيف لي أن أتزوج بطريقة الخطابة التي تنتمي للعصور البائدة؟!

هنا جاء رد والده حازماً:

اسمع يا ياسر يا ولدي، لن نعرض عليك عروساً من العائلة مرة أخرى، لكن ابحث عن بنت الحلال التي تشاركك حياتك، أيّاً كانت، وإلا سيحترق قلب والدتك حزناً عليك، وربما ستموت كمداً بسببك...

غادر الأبوان منزلَ ولدهما تاركين إياه في حالةٍ من الاضطراب الشديد. كلمات والده واضحة: يجب أن يتزوج، وإلا سيفقد رضاهما عنه، وهو يدرك أنهما على حق؛ فهو قد قارب على الأربعين ولا يزال يعيش وحيداً...

بعقلية مبرمج... اتخذ ياسر قراره سريعاً... سيبحث عن شريكة العمر، لكن على طريقته الخاصة...

استخدم تطبيقاً حديثاً للذكاء الاصطناعي قام بتصميمه لإحدى الشركات، والتي طلبت أن يصمم لها برنامجاً

قادرًا على البحث المتطور عن اهتمامات أي متقدم
للعمل بها وسلوكه من خلال الشبكة العنكبوتية...

لم يجد ياسر صعوبة في تحقيق هدف الشركة... شكّل
لهم التطبيق المنشود كنحّات موهوب...

من خلال البحث العميق لهذا التطبيق في مواقع
التواصل الاجتماعي، يستطيع البرنامج رسم صورة
متعددة الأبعاد لكل شخص طالما يتعامل مع الكمبيوتر
وشبكات التواصل الاجتماعي...

- ماذا يحب؟

- ماذا يكره؟

- ما هواياته، وأكالاته المفضلة؟

- من هم نجوم السينما المفضلون عنده؟

وحتى آراؤه السياسية؛ قادر هذا التطبيق على تحديدها بدقة.

وبنفس التطبيق الحديث وضع ياسر أولوياته للبحث عن زوجة المستقبل... وضع المواصفات التي يريد لها شكلاً وموضوعاً... امتدت مواصفاته لتشمل طبيعة الأهل والأقارب، ونوعية الأصدقاء، ومستوى التعليم والعمل، والآراء في القضايا الشائكة...

لم يترك الأمور للصدفة أو النصيب... بضغطة زر رشّح البحث عددًا كبيرًا من الفتيات ممن اجتمعت فيهن مواصفاته كما تخيل... جميعهن نفس الشكل المتوافق تمامًا مع صفات المرأة التي ينجذب إليها...

امرأة في أوائل الثلاثينيات... ملفوفة القوام... ليست نحيفة أو سمينة... تتمتع بطول واضح (لا يتخطى طولَه)، متوسطة الجمال، خمرية البشرة، مع ملامح

عربية، ولكن بطابع عصري يتعد تمامًا عن طبيعة الالتزام الصارم لعائلته التي تنتمي للطبقة الوسطى المحافظة...

نجح التطبيق في تحقيق الهدف، وبدأ يأسر في الاختيار بين الخيارات المتعددة... مرت أسابيع حتى تمكن من المفاضلة بين كافة المرشحات لنيل هذا الشرف.

كما طلب تمامًا... وقع الاختيار على فتاة من عائلة ميسورة الحال، تسكن في تجمع سكني مجاور لمنزله الجديد... تعمل بإحدى المؤسسات الثقافية الغربية التي تقدم خدماتها لمنطقة الشرق الأوسط... تملأ مواقع التواصل الاجتماعي ضجيجًا تعبيرًا عن كل خطوة في حياتها اليومية، هي وعائلتها وأصدقائها، وحتى عملها... صورها التي تمتلئ بهجة وحيوية جعلته يتأكد أن تلك الفتاة هي الأنسب له في مشاركة القادم من الأيام. تم التعارف سريعًا عن طريق صديق مشترك بينهما على منصة (فيسبوك).

تقدم لخطبتها بعد أن تأكد من دقة اختياره... ظهر
الزفاف في أبهى صورة ليتناسب مع زوجين من الطبقة
الراقية... سافرا إلى الخارج لقضاء شهر العسل في
إحدى الجزر اليونانية.

لم يكتمل الشهر، وعادا كلٌّ منهما بمفرده إلى الوطن
بعد أن انفصلا بشكل قانوني في السفارة المصرية بأثينا،
مما أثار ضجة عارمة في وسطهما الراقي، لتملأ زوجته
السابقة السوشيال ميديا حزناً وألماً عن خطأ عمرها
الذي جعلها تنخدع في هذا الرجل القادم من الحواري،
وفق تعبيرها، لتنهال عليها التعليقات مؤازرة لها ودعماً
لها في زيجة فاشلة!

لم يكتثر ياسر لما أحدثه انفصاله السريع من رد فعل
سلبي من كل أصدقائه ومعارفه...

عاد مرة أخرى إلى منطقته في السيدة زينب ليقیم في
شقة القديمة... قرر أن يتزوج إحدى فتيات العائلة ممن

فاتها قطار الزواج بمعايير الحي الشعبي، بعد أن خاب
ظنه في التطبيق الذي صنعه، حيث اكتشف أن اختياره
لم يعرف أن الفتاة محل الاختيار تعاني من اضطراب
نفسى منذ الصغر، تخفيه بحالة من البهجة والظهور
المصطنع على صفحات السوشيال ميديا...

تصفيق حاد

جلسوا على مقاعدهم يتابعون الموقف على سطح
الكوكب الأزرق عن كثب... ثلاثة مخلوقاتٍ منتصبيةٍ
القامة، خضراء اللون، ضخمة الرؤوس، يشاهدون
شاشاتٍ ضخمة، وعيونهم الواسعة تتنقل بين المشاهد
المتنوعة لهذا الكوكب المأزوم...

الوضع هناك غايةً في التوتر، والأزمات المتوالية تجعله
أشبهً بقدرٍ يغلي!

راقبتِ المخلوقاتُ ذلك الخلافَ المستعرَ على سطح
الكوكب الذي يبعد عن قاعدتهم الكائنة في قلب
المريخ، والذي يبتعد عن الأرض مسافةً ليست بعيدة.

استطاع المخلوق (ج1) متابعة سلوك قيادة أقوى
دولتين على الأرض من خلال شاشاتٍ متقدمة التقنية،

مجسّمة، ترى ما يحدث داخل الغرف المغلقة، وتحوّل
الحديثَ الدائرَ داخلها إلى كلامٍ تستوعبه هذه
المخلوقات، التي تتحدث فيما بينها عن طريق التخاطر
بعد أن تطوّرت لملايين السنين، وتركت الكلمات
كوسيلةٍ بدائيةٍ للتحاور والتواصل فيما بينها...

ظهرت الغرفةُ الكبيرة لقائدِ هذا المبنى الأبيض اللون،
يصرخ فيمن حوله بقامته الطويلة، وشعره الأصفر،
ووجهه الممتلئ بالتجاعيد، حيث يُحرّك سبّابته في اتجاه
الشاشة العريضة بطريقةٍ انفعالية، والتي تعرض له منافسه
الشرسَ الهادئ، قائدَ الدولة الأخرى.

لم يستوعب (ج1) ما يحدث على سطح هذا
الكوكب.

نظر إلى زميله (ج2) وبدأ حديثه معه بالتخاطر كالمعتاد:

- ماذا يفعل هؤلاء الحمقى.. زميلي (ج1)؟

إذ لا يوجد ما يستدعي كلّ هذا الخلاف... ما يفعلونه
من عملٍ أخرج قد يؤدي ببساطة إلى إطلاق الصواريخ
المحمّلة برؤوس سلاحهم النووي المدمّر لأي سببٍ
تافه.

بدأ (ج2) في نقل مخاوفه إلى زميله المندعش:

- يبدو أن هؤلاء الحمقى لا يعرفون بماذا يلعبون...
تلك الأسلحة الخطيرة الموجهة ناحية كلاً منهما قادرةٌ
على تدمير كافة أشكال الحياة على سطح كوكبهم
الجميل!

شارك (ج3) زملاءه في الحديث التخاطري:

لم يتعلموا من درس انقراض الديناصورات التي قضينا
عليها بنيزكٍ ضخّم جذبناه إلى كوكبهم حتى ارتطم
بالأرض، وصنع شتاءً نوويًا لسنواتٍ طويلةٍ أنهى

وجودهم، ومهد الأرض لظهور هؤلاء الحمقى بعد أن
زال خطرُ تلك الوحوش عليهم بلا رجعة.

وبينما يتخاطرون فيما بينهم، ظهر على إحدى الشاشات
مشهدٌ أثار انتباههم جميعاً...

قافلةٌ من السيارات المصفحة السوداء تتحرك باتجاه
سفح جبلٍ في القارة الأمريكية الجنوبية... سياراتٌ
بالمئات، مُلصقٌ عليها أعلامٌ دولٍ مختلفة، تسير تحت
حراسةٍ مشددةٍ من مروحياتٍ ومدرعاتٍ حربيةٍ حديثة،
وتدلف إلى فتحةٍ دائريةٍ في قلب الجبل...

استطاعت المخلوقات بسهولةٍ استبيانَ ما يدور داخل
هذا الجبل البعيد عن أي عمران...

باستخدام أشعةٍ خاصةٍ مسحت أحشاء هذا الجبل؛ ظهر
أن داخله مدينةٌ كاملةٌ مجهزةٌ بأحدث الإمكانيات،
وتضيئها مصابيحُ بيضاء ضخمة تشبه أشعة الشمس،

والمكانُ يمتلئ بالحدائق والبحيرات الصغيرة. وتحليل
سطح الجبل بنفس الأشعة، تبين أنه مُبطّنٌ بطبقاتٍ
متنوعةٍ متداخلةٍ من مواد عازلةٍ للإشعاع والحرارة،
والمكانُ به مبانٍ مختلفة تستطيع إعاشة الآلاف من
البشر لسنواتٍ طويلة.

توقفت السياراتُ السوداء داخل قلب المدينة الصناعية،
وهبط منها عددٌ كبيرٌ من الأشخاص، والذين يبدو من
هيئاتهم أو ملابسه أنهم قد جاءوا من كافة أنحاء
العالم...

نظرت المخلوقاتُ إلى بعضها البعض في ريبة...
استطاعت أن تتعرّف على شخصيات القافلة، التي
تسكن المدينة الجديدة، وذلك بتقنيةٍ أرضيةٍ بسيطة،
وهي التعرّف على الأوجه...

اتَّسَعَتْ عينا (ج1)، و (ج3) بعد أن عرفا أن هؤلاء
السكان الجدد هم صفوفُ أغنياء الأرض، وازداد

اندهاشهما أكثر عندما تعرّفت التقنية على شخصياتٍ شهيرة في الإعلام والسياسة، ممّن يقودون حملةً الصراع بين أقوى دولتين نوويتين، وتعمل هذه الشخصيات الإعلامية الشهيرة على إثارة الخلاف بين الدولتين، وصولاً إلى احتمالية استخدام تلك الأسلحة الفتّاكّة!

أدركت المخلوقات الثلاثة أن هناك شيئاً على وشك الحدوث، خصوصاً بعد انطلاق إنذارٍ موجّه في كافة القنوات الإخبارية الأرضية بأن يمكث الجميع في بيوتهم، وألا يغادروها لأي سبب.

تخاطر على الفور (ج 1) مع زميليه:

- كيف سيحمي المكوث في المنازل هؤلاء البشر المساكين من ذلك الجحيم الأرضي المحتمل...؟

ردّ عليه (ج 3) بسرعة:

- هذه وصفة مثالية لتسريع الانقراض البشري، لا أكثر...

بدأ الثلاثة بأذرعهم الطويلة الضغط على العديد من أزرار شاشاتهم المتنوعة لإبلاغ قيادتهم في طرف المجرة، في محاولة لمنع تلك القيامة الأرضية!

وأثناء ذلك، ظهر على الشاشة الضخمة في قلب غرفة التحكم رئيساً أكبر دولتين في العالم، وهما يَصِلَان أخيراً إلى سفح نفس الجبل الذي امتلأ منذ ساعاتٍ بالمئات من صفوة أغنياء الكوكب...

خرج الرئيسان من سيارتيهما بعد أن تمَّ إغلاقُ البوابة الرئيسية الضخمة لتلك المدينة المحصنة... قابل كلٌّ منهما الآخر ليتصافحا في مودّة غير متوقعة، وليضغط كلٌّ منهما على زرٍّ أحمر اللون داخل حقيبة سوداء صغيرة مربوطة بسلسلة معدنية إلى معصم كلٍّ واحدٍ فيهما، لتطلق المئات من الصواريخ النووية كأسهُم نارية

من كافة أرجاء الكوكب للجهة المقابلة، وتغطي محيطه
في دقائق معدودة، وسط فرحة عارمة وتصفيقٍ حادٍّ من
جمهور ساكني تلك المدينة الجديدة المزروعة وسط
الجبل، احتفالاً بتحقيق هدفٍ كان منذ فترةٍ طويلةٍ بعيد
المنال!

وشم أخضر داكن

صوت عالٍ يملأ قاعة انتظار المركز الطبي
المتخصص لهذا الطبيب الشهير..

تابع الأطباء المساعدون لهذا الطبيب ذائع الصيت، في
ذهول، هذا التلاسن الدائر بين رجلٍ قروي وموظفة
الاستقبال، التي يُست من إخباره أنه لا توجد مواعيد
اليوم لمناظرة هؤلاء السيدات القرويات اللاتي قدمن مع
هذا الرجل بسيارة ميكروباس من أقصى الصعيد...

رجلٌ قصير القامة... يرتدي جلبابًا بلديًا يُخفي جسده
البدين.

لفت نظر الجميع بعمامته البيضاء الملفوفة بعناية في
أدوار متعددة، ويقبض على عصا سوداء المقبض
وسميكة القوام.

أدركت الموظفة القادمة من قرى الدلتا أنها أمام شخصٍ
ثريٍّ من الأرياف، أو ربما عمدة بلد في الصعيد، بسبب
جودة الجلاب وحوافه المُطرزة بعناية ، مُخفياً قفطاناً
أبيض يرتديه أسفله.

حاول أفراد الأمن والتمريض تهدئته، ولكن بلا جدوى؛
فعلى الرغم من جسده السمين الخالي من علامات
القوة، فإن ثقته في نفسه جعلته يرفع صوته الحاد عالياً،
ليصنع بلبلة في المكان الذي يعج بالمرضى القادمين
من أقاليم المحروسة المختلفة.

تابع الطبيب الشهير المعركة الدائرة في باحة مركزه من
خلال كاميرات مراقبة المكان المثبتة في شاشة داخل
غرفته، وفي سرعة خاطفة استدعى جرسه الرنان الموظفة
المسؤولة، التي تركت ثريّ الصعيد ينطق بصوته الغريب
لتبلي نداء رئيسها في العمل...

سألها الدكتور في غضب:

- لماذا كل هذا الصخب؟

- ما هي حكاية هذا الرجل؟

شرحت له الموظفة سبب سلوك هذا القروي الغريب.
كاد الطبيب الشهير أن يطلب له الشرطة، إلا أن الفتاة
استعطفت رئيسها أن يتغاضى عن سلوك هذا الرجل
المستهجن، فهو قادم من الصعيد بعد أن أعطاه أحد
أقربائه عنوان المركز الطبي، ولذلك فهو ضحية الجهل
بنظام المركز... بعد أن هدأ الطبيب بكلمات
المساعدة، طلب منها أن تسمح للرجل بالانتظار،
يعطائه أدوارًا متأخرة للكشف، طالما هو قادم من
مكان بعيد ومعه ذلك العدد من النساء.

وافق العمدة - على مضض - أن ينتظر لنهاية اليوم.

جلس على مقهى يدخن الشيثة، بينما ترك السيدات
القرويات اللاتي جئن معه في المركز الطبي، ليكنّ تحت

رعاية الموظفة التي عرفت كيف تهدئ من غضبه
بالاهتمام به وبمن معه، خصوصًا بعد أن أعطاها ورقة
نقدية من فئة الخمسين جنيهًا كبقشيش.

بعد انتظار يوم طويل، دخل العمدة ومن معه من
السيدات إلى غرفة الكشف... أصرّ ألا يتركهن في أثناء
الكشف الطبي، ولتجنب الازدحام أخذ يدخل مع كل
واحدة منهن على حدة للكشف عند الطبيب.. بنظرة
فاحصة من هذا الطبيب الشهير، من أعلى نظارته
 للقراءة التي تتدلّى على أنفه الحاد، أدرك بحنكته
المعهودة أن هذا الرجل القادم من الصعيد يحاول إظهار
القوة والشدة أمام تلك النسوة البائسات والمتشحات
بالسواد، فعلي الرغم من هيئته التي لا تدل على
الخشونة؛ فإن وجهه فاتح اللون لا تظهر عليه علامات
الشقاء، ويمتلئ بالوشوم الخضراء الداكنة على صدغيه
و ذقنه الأملس.

خاطبه الطبيب الشهير في هدوء:

- اقعد يا عمدة على الكرسي ده حتى أنتهي من الكشف..

لاقت كلمات الطبيب استحسان القروي، الذي جلس على المقعد المجاور لمكتبه، بينما يضع رجلاً على الأخرى ويمسك عصاه في فخرٍ مبالغ فيه..

سأله الطبيب سؤالاً مباغتاً:

- أخواتك دول يا عمدة؟

لاحظ الطبيب ارتباك الرجل، الذي تلثم في الإجابة ليرد أخيراً، وقد انتفخ صوته الرفيع:

- لأ يا دكتور، دول بنات عمامي، وفاتهم القطر ووقعوا في ذمتي، وأنا المسؤول عنهم وعن كل شيء يخصهم..

لم يضغط الطبيب الشهير على العمدة، الذي ظهر
ارتبأكه جليًا بعد السؤال...

انتهى الكشف على السيدات القرويات، وكتب الطبيب
العلاج في روستات عديدة، أصرّ القروي على أخذها،
فهو الذي سيقوم بشراء العلاج..

وبينما يصافح العمدة الطبيب قبل مغادرته غرفة
الكشف، أخذ يعتذر له عما بدر منه في قاعة الانتظار..
تقبل الطبيب اعتذار الرجل، متمنيًا منه الاتصال لحجز
موعد قبل المجيء مرة أخرى..

خرجت السيدات من المركز تباعًا، واحدة تلو الأخرى،
نحو الميكروباص، ليغلق العمدة بابه الجوّار بعد أن
اطمأنّ من ركوب كافة مرافقاته، وركب هو في الكابينة
الأمامية بجوار السائق الخاص الذي جاء معهم من
قربتهم القابعة في قلب إحدى محافظات الصعيد...

في الصباح الباكر، بعد رحلة طويلة من العاصمة إلى الصعيد، وصلت السيارة إلى دَوَّار كبير فُتحت بواباته، وعليها خُرَّاس مدججون بالسلاح.

ترك الجميع الميكروباص، لتدخل السيدات القرويات إلى داخل الدوار... تحركت كل واحدة منهن إلى غرفتها في حزن وتثاقل، فقد عدن مرة أخرى إلى حياتهن المملة البائسة.

تركهم العمدة وصعد إلى غرفته في الطابق العلوي من المنزل الضخم، الذي يقبع في قلب عشرات الفدادين من الأراضي التي يملكونها كعائلة.

وهو يصعد السلم، تذكَّر كيف كان هذا الدوار عامراً بأصحابه، قبل أن يحصدهم الثَّار واحداً تلو الآخر في دوامة سرمدية من قرابين الدم! دخل غرفته بينما تجول بخاطره تلك الأيام الخوالي... خلع عمامته البيضاء الضخمة، وألقى عصاه على الكنية المقابلة للفراش...

أغلق باب الغرفة بالمفتاح.. تحلل من ملابس الرجال
الثقيلة، ليعود مرة أخرى إلى حقيقته..

حيث جلست بخيطة أمام المرأة بعد أن أخرجت شعرها
الطويل، المكوّن من خصلات بيضاء قد تمكنت من
قهر أغلب الخصلات السوداء..

ارتدت قميص نومها الأبيض الفضفاض، الذي كان يحبه
المرحوم زوجها، الذي فقدته منذ سنين، أطلقت شعرها
المخنوق يومًا بأكمله أسفل تلك العمامة..

أمسكت المشط الخشبي لتفصل الخصلات البيضاء
عن السوداء.

سارت دمعة على خديها عندما تذكرت كيف فقدت هي
وتلك النسوة البائسات من عائلتها أزواجهن، حتى لم
يتبقَّ أي رجل بالعائلة، مما اضطرها أن ترتدي ملابس
الرجال وتقف في ثبات لرعاية أراضي العائلة بأساليب

الرجال، درءًا لطمع أهل القرية، لتواجه هذا العالم الذي
لا يحترم النساء، ولا يأخذ الشرّ منهن، ليتركهن بئسات
ومتّشحات بالسواد!

طقس عائلي

أصواتُ تلاوةِ آياتِ الله تملأُ المكانَ.. عزاءُ
يبدو على أعلى مستوى من الإعداد في تلك المدينة
الصغيرة الجنوبية.

ثلاثة قراء يتناوبون على التلاوة العطرة في هذه المناسبة
الحزينة، حيث يودّعون شاباً وافته المنية في الغربة، بعد
أن ترك وطنه مهاجراً إلى بلاد الشمال الإسكندنافية
الأوروبية منذ سنواتٍ طوال، عقب أزمةٍ أُسرّةٍ عنيفة
تلاطمت أمواجها العاصفة لتقلب حياة المتوفى رأساً
على عقب، وترك مدينته الإقليمية بعد أن ضاقت به
الذكريات الضاغطة...

أفراد العائلة عريقة الأصول يتصدّرون المشهد، يرتدون
أفخم الثياب بزيٍّ موحدٍ متّفقٍ عليه؛ بدلات سوداء مع

قمصانٍ بيضاء تزينها كرفئاتٌ سوداء، وأحذيةٌ سوداء
كلاسيكٍ لامعة.. جميعُهم توافدوا من كلّ حدبٍ
وصوب، مُلبّين نداءَ العائلة المفجوعة في فقيدها
الشاب!

طبعًا... الفرق واضحٌ بين عزاءاتِ العائلات الكبرى في
المدينة وعائلتنا الصغيرة في القرية.. هنا الفخامة في كلّ
شيء، والاهتمامُ بأدقّ التفاصيل؛ السجادُ الأحمرُ
المفروش في كلّ مكان، كراسيّ المعزّين الوثيرة، والقراء
من الأعلى أجراً.. حتى مقدّمو المشروبات للمعزّين
يرتدون زيّهم الرسميّ من قفاطينَ مخطّطة وطرايشَ
تنتمي للعهد الملكيّ المُنذر.. جميعُها تفاصيلُ متناهيةُ
الصغر، لكنّ غيابها قد يُنقص من مقدار عائلة الفقيد.

بحثتُ بين أقاربِ الميّت عن صديقي الذي يتفاخر دائماً
بانتمائه لتلك القبيلة العائليّة التي هبطت على المدينة
منذ عقودٍ عديدة.. تعرّفتُ عليه بصعوبة وسط جماهير

المعزّين الذين يتقاطرون على المكان لمجاملة أسرة
المرحوم.. زُيّه متناغمٌ مع أعضاء العائلة، على الرغم من
ارتدائه نظّارته السوداء الكبيرة التي تُخفي ثلث وجهه
الصغير الأبيض.

بمجرّد أن قابلني الصديقُ سحّني من يدي ليجلسني في
غرفةٍ جانبيةٍ أعدّت خصيصًا لكبار الزائرين، وتتمتّع
بطابعٍ خاصٍّ من كراسٍ عريضةٍ مُذهّبة الأجزاء، مع ضيافةٍ
مباشرةٍ من كبار أفراد العائلة، وليس الشباب ممّن
يتصدّرون استقبال الناس.. أرادني أن أرى مدى ثِقَل
عائلته عن طريق جلوسي بجانب كبار رجال المدينة من
كافة الوظائف والمهن؛ فهكذا، ربّما سأحكي لزملائنا
في العمل عمّا رأيتُ وسمعتُ...

فجأةً، بينما أجلسُ مستمعًا لآيات الذكر الحكيم،
انتفض عددٌ كبير من أصحاب العزاء بعد أن علموا أنّ
الجثمان قد وصل من المطار بصحبة أخيه، الذي سافر

إلى الخارج على عَجَلٍ لإحضار جسد الفقيد ليُدفن في
تراب بلده.

في هذه اللحظة، شعرتُ أخيراً بأجواء المآتم التي
خبرتها في مسقط رأسي.

تحرك المشيِّعون بجسد الشاب إلى داخل منزل العائلة،
ليلقي والداه نظرة الوداع الأخير عليه قبل أن يُوارى
الثرى.. تعالت الصرخات من حناجر النساء، واضطرب
السَّيَاقُ المُعدّ بعناية من أفراد العائلة، ليتحوّل المكان
إلى حالةٍ من الصخب والبكاء، تسبّب فيها قليلٌ من
الحضور ممّن كانوا يرتبطون بصداقةٍ قديمة مع صاحب
الجسد الذي وصل لتوّه من تغريته!

لم يمكث طويلاً داخل المنزل.. تحرّكوا به مُسرّعين،
بنفس السيارة، لاستكمال مراسم الدفن في مقابر
العائلة.

لم يذهب مع الفقيد الكثير؛ فقط أفراد الحلقة الضيقة من الأقارب المباشرين، فمكان الدفن في أطراف الجبل الملاصق للمدينة، والليلُ داهمَ المكانَ؛ فلذا وجب بقاء معظم أفراد العائلة في المأتم أو السرادق الميتم المكتظَّ بالمعزّين.

بحثُ بين الجميع عن والد الفقيد.. أعرفه جيّدًا منذ أن كان مديرَ مدرستنا الثانوية.. لم أره وسط الحضور حولنا.. سألتُ صديقي أكثر من مرّة عن الأب المكلوم، فلم يكثرث لسؤالي؛ فهو في حالةٍ من الزهو بكثرة الضيوف الذين قدموا ولا يزالون يؤدّون الواجب، خصوصًا من زملائه وقيادته في العمل، والذين أدركوا أخيرًا مقدارَ عائلته العريقة.

ألححتُ بالسؤال عليه.. ردّ أخيرًا بأنّ والد الفقيد في حالةٍ من الصدمة لوفاة ابنه في الغربة، ولا يستطيع أن

يقابل الناس، ويتملكه شعورٌ طاغٌ بالذنب، لأنّه لم يمنعه من السفر بعد صدمته الأسريّة وانفصاله عن زوجته.

التزمت الصمت بعد إجابة صديقي المُقتضبة.. طلبتُ فجأةً من القهوة من السُفْرَجِيّ ذي الزيِّ المميّز والطربوش الأحمر اللافِت، ارتشفتُ القهوة وأنا أستمع لتلاوة كبار قراء المدينة بأصواتهم العذبة، وبمجرّد انتهاء التلاوة، نظر إليّ بعضُ أفراد العائلة وهم يُلقون جملتهم النمطيّة المتكرّرة: (شكّر اللهُ سعيكم)، إيذاناً بحلول وقت مغادرتي للمكان؛ فالمشيّعون لا يزالون يتوافدون، ويجب أن يجدوا مكاناً شاغراً في عزاء هذا الشاب المُهاجر، الذي ترك وطنه منذ زمنٍ هرباً من أزمته، وتحولت وفاته إلى طقسٍ عائليٍّ مُقدّس!

ذكريات حبيسة

من أسوأ الكوابيس المؤرقة لي، والتي تتكرر باستمرار، هي ذلك الحلم الثقيل؛ حيث أحاول دائماً اللحاق بالقطار في المحطة، بينما الوقت يمر، وأعرض للعديد من العقبات طوال الطريق من المطار إلى المحطة..

فكم هو حلم ضاغط على الأعصاب، ولم أعد أحتمله! في كل مرة أحلم بكابوسٍ مثله، أهرع إلى اللاب توب الخاص بي.. أفتحه على عجل، أضغط على زر التشغيل، أدير البرنامج المفضل لدي للتواصل، حتى أقوم بإجراء مكالمة مع والدتي ووالدي البعيدين..

فأنا مسافر مع عائلتي منذ فترة طويلة إلى إحدى بلدان القارة العجوز، بعد أن نجحتُ في العمل في أهم

جامعاتها التكنولوجية، المعتمدة على تطوير الذكاء الاصطناعي ودمجه بالذكاء البشري.

البرنامج يبدأ في الرنين على التطبيق الخاص بالتواصل مع والديّ...

(صوت جرس موسيقي، مع كلمة "اتصال" تظهر على الشاشة، حتى تنتهي بفتح الخط من الجهة المقابلة من ذلك العالم البعيد)

صوت حنون ورقيق يرد بكل دفء معتاد:

الأم:

- ألو.. إزيك يا هيثم يا حبيبي؟ كيف حالك يا ولدي الغالي؟ وحشتني جدًّا يا قلبي.

هيثم:

- وأنتم أيضاً يا ماما.. كيف حالك، وحال صحة بابا؟
يارب تكونوا بخير...

الأم:

- إحنا بخير يا ولدي، طالما أنك بخير.. الحاج يريد
محادثتك...

الأب: (بصوتٍ كله شغف وحب، وبإيقاعٍ سريع فيه
لهفة واضحة):

- إزيك يا هيثم يا ابني؟ عامل إيه؟ طمني عليك يا
ولدي؟ إن شاء الله تكون أنت وأولادك بخير وصحة
وسلامة...

يرد هيثم، وقد بدأت دموعه تظهر على خديه كقطرات
الندى المارة على سطح زجاج أملس:

- أنا بخير يا حاج.. اطمئن.. أهم شيء، خلى بالك من صحتك وصحة أمي، ومتخلنيش أحس بالخوف عليكم...

انتهت المكالمة.. أغلق العالم الشاب التطبيق الحديث وجهاز اللاب توب سريعاً، بعد أن شعر بصوت حركة يقترب من غرفته...

صوت طرقات على باب غرفته. طلب هيثم من الطارق الدخول.

إنها زوجته سارة.. يبدو أنها جاءت لتطمئن على زوجها، بعد أن سمعت صوته عاليًا في غرفة مكتبه في هذا الوقت المتأخر من الليل...

بمجرد رؤيتها لزوجها، أدركت ما حدث.. يبدو أنه قد انتهى لتوه من التواصل مع والديه، فأثر البكاء يظهر

جليًا في عينيه الواسعتين، أسفل نظارته الطبية مربعة الشكل..

سارة لهيثم، بلهجة استهجان: اتواصلت يا هيثم مرة أخرى مع والدك على هذا التطبيق اللعين، ألم نتفق على عدم استخدامه مرة أخرى؟!

حيث ينتهي بك الحال إلى حالة نفسية سيئة في كل مرة!

يرد هيثم، في تلعثٍ واضح:

- أنا لم أستخدم التطبيق.. أنا فقط تذكرت والدي، لا أكثر...

لم ترغب الزوجة، بفطنتها، أن تضع أحجارًا على صدره أكثر من تلك التي يحملها بالفعل... جلست بجانبه، وضمت رأسه إلى صدرها كطفلٍ صغير، حيث بدأ يجهش بالبكاء..

أخذت تهدي من ألمه واشتياقه إلى والديه، بعد أن وعدها ألا يستخدم التطبيق الحديث مرة أخرى.

تركته سارة، وذهب هو ليتوضأ ويصلي الفجر وحيداً في غرفة مكتبه، حيث يعيش معظم وقته يعمل على مشاريعه البحثية لتصميم تطبيقات دمج الوعي البشري مع الذكاء الاصطناعي.

فقد فعل ذلك لأول مرة مع والديه، عندما احتفظ بنسخة من وعيهما وأفكارهما وذكرياتهما على وحدات تخزين حوسبية، وقام بدمجها مع الذكاء الاصطناعي، ليتحول والداه إلى نسخٍ كمبيوترية محبوسة داخل جهازه، في ذلك التطبيق، يستطيع التواصل معها في أي وقت... ربما.. يجد في ذلك عوضاً عنهما، بعد أن فشل في اللحاق بهما في المستشفى قبل وفاتهما في حادث سيارة، حينَ فاته ذلك القطار اللعين!

عندما انقطع الإنترنت

استيقظ الأستاذ عادل متأخرًا كعادته.. منذ تقاعده ووفاة زوجته، لم يعد يشعر بالوقت، وأصبح بقاؤه في شقته معظم فترات اليوم طقسًا معتادًا..

ترك غرفة نومه واسعة الأبعاد، وانتقل إلى غرفة أبنائه التي أضحت فارغة بعد أن كبر ولداه وانفصلا بحياتهما الخاصة، ليعيشا في أماكن بعيدة فرضتها عليهما طبيعة عملهما..

في غرفة الأبناء يقضي فترة النهار، وهو يتناول إفطاره الذي أعدّه لنفسه في مطبخه الخاوي من الطعام تقريبًا، فيما عدا بعض الأكلات السريعة سهلة التحضير، والتي يسهل عليه إعدادها. فحياته وحيدًا لا تمنحه رفاهية تنوع الطعام، ولذا يخرج يوميًا واحدًا في الأسبوع زائرًا

أحد المطاعم الشعبية التي يعرفها جيداً منذ شبابه؛
ليتناول وجبة متكاملة يفتقد مثلها، ولا تجرح ميزانيته
اليومية الضئيلة التي تعتمد على مرتب التقاعد الهزيل
من الأساس!

بعد انتهائه من وجبة الإفطار، ينتقل الأستاذ عادل إلى
صالة الشقة، ليجلس كالمعتاد في قلبها على مقعده
المفضل، ويبدأ في ممارسة هوايته اليومية الوحيدة، وهي
التنقُّلُ تَباعاً بين صفحات السوشال ميديا بصورة
روتينية، حيث يصول ويجول بين الأخبار الآتية له من
خلال الحسابات المتنوعة المشترك بها، وينخرط في
مناقشاتهما المشتعلة على التريندات اليومية المتعددة،
بمجرد جلوسه على مقعده المفضل، كانت هناك مفاجأة
غير سارة في انتظاره في هذا اليوم... شبكة (الإنترنت)
لم تكن على ما يُرام. حاول من خلال غلق وفتح
(الراوتر)، أن يجعل الشبكة تسترد عافيتها وتعود

للخدمة، ولكنها أَبَتْ في ذلك اليوم أن تعمل، مما جعله يتوتر ويتحرك مسرعاً صوب الهاتف مخاطباً خدمة العملاء ليجد حلاً لمشكلته العويصة (هناك عطل عام في النت، وسيأخذ وقتاً لإصلاحه.. كان هذا ردُّ موظفة خدمة العملاء، والذي بالطبع لم يَرُقْ للأستاذ عادل.

تخلي أخيراً عن مقعده المفضل، وأخذ يتجول في أركان شقته الواسعة، وهو لا يدري ماذا يفعل لقضاء الوقت المتبقي من يومه الطويل... توجه نحو مكتبته المليئة بالكتب، التي غطّاها التراب المتراكم عبر السنين.. حاول أن يختار كتاباً منها يكسر به ملل الوقت الثقيل، ولكنه تراجع فجأة عن الفكرة، أمسك بهاتفه الجوال، وبدأ في الاتصال بابنَيْهِ للاطمئنان على أحوالهما، كالعادة لم يُجِبْ أيُّ منهما على اتصاله، فالتمس لهما العذرَ لطبيعة عملهما القاسية التي تجعلهما غير متاحين معظم الوقت إلا في أيام العطلة الأسبوعية.

عاود البحث في قائمة الأسماء في الهاتف.. معظم
أصدقائه قد توفاهم الله، أو أصبحوا في حالة صحية
خاصة لا تسمح لهم بالحديث طويلاً عبر الهاتف!

عاد الأستاذ عادل مرة أخرى للطواف بأرجاء المنزل..
أدار التلفزيون، وتنقّل بين قنواته، فوجده يعج بالملل،
فهو، كما ينعته دائماً، يمتلئ بالتفاهة والسطحية.

قرر أخيراً الخروج من المنزل لقتل يومه الطويل.. ارتدى
بدلته الصيفية التي يمتلك منها أشكالاً متنوعة منذ عمله
في القطاع العام... ترك العمارة التي يسكن بها، مشيراً
دهشة البوّاب الذي لم يعتد على خروجه في هذا الوقت
من النهار. خاطبه البوّاب في قلقٍ سائلاً: فيه حاجة
شاغلاك يا أستاذ عادل؟ اكتفى عادل بالإشارة للبوّاب
بيده أنه بصحة جيدة، توجه إلى كشك الصحافة
المجاور، واشترى جريدة الأهرام الورقية التي لم يقرأها
منذ فترة طويلة.

انتظر في الشارع العمومي المجاور لمنزله قدوم الأوتوبيس، بمجرد وصوله جلس عادل في المقعد المجاور للنافذة، وبدأ في قراءة الجريدة الورقية بينما يتحرك الأوتوبيس في مساره مخترقاً كافة أرجاء العاصمة.

انتهى من قراءة الجريدة التي تأكد أنها لم تعد كما كانت من المستوى الصحفي الذي يرضيه كقارئ.

أخذ يشاهد الشوارع والبيارات عبر نافذة الأوتوبيس كمن يشاهد المدينة لأول مرة؛ فمكوته بالمنزل جعله ينساها، ولا يشاهد تقلبات الدهر على ملامحها العتيقة. وصل الأوتوبيس أخيراً إلى المكان الذي يسكن فيه الأستاذ عادل، أدرك أن رحلته قد انتهت وأن العودة إلى منزله الممِلِّ أصبحت حتمية، بينما يومه الطويل لا يزال ممتداً، وهو لا يعلم كيف سيقضيه وحيداً!

في كل الأحوال لم يجد مفراً من العودة للمنزل.. خلع
ثيابه، ارتدى بيجامته الكستور القديمة، جلس على
مقعده المفضّل وسط الصالة، أمسك بهاتفه الجوال
منتظراً، في شغف أن تعود شبكة الإنترنت، ليعودَ إلى
حياته المعتادة، حيث صراعات السوشيال ميديا العبيثة
التي تملأ يومه الطويل.

الكاتب في سطور

- الاسم/ عمرو منير محمد صبري
- أستاذ مساعد لطب وجراحة العين كلية الطب جامعة سوهاج.
- كاتب روائي، وقاص.
- عضو النقابة العامة لاتحاد كتاب مصر.
- عضو عامل بنادي أدب سوهاج.
- عضو نادي القصة المصري.
- صدر له العديد من المؤلفات، وتنوّعت بين: الرواية، القصة القصيرة، والنقد الفني.

صدر للمؤلف

- (مغارة الجبل الغربي) رواية - صادرة عن مكتبة أوزوريس ٢٠١٩.
- (فرح ابن العمدة) مجموعة قصصية - صادرة عن مكتبة أوزوريس 2020.
- (سينما يوليو) قراءة نقدية - صادرة عن مكتبة أوزوريس ٢٠٢٠.
- (لعبة العروش وعلمنة الفن) صادرة عن مكتبة أوزوريس ٢٠٢١.
- (حفرة المساخيط) رواية - صادرة عن دار غراب للنشر والتوزيع ٢٠٢٢.

- (إطلاّت مختارة) مقالات متنوّعة - صادرة عن الدار

المصرية الإماراتية 2024.

- (فُلك نوح) مجموعة قصصية "خيال علمي" 2024

الدار المصرية الإماراتية.

- (سلوفان) مجموعة قصصية - صادرة عن دار المعارف

2024.

- (ناصر تحت المجهر - قراءة معاصرة بلا رتوش) -

صادرة عن دار الأدهم 2025.

- (حوارات مع صديقي اليساري ومقالات أخرى) -

صادرة عن دار الأدهم 2025.

- (زمن التحولات - مقالات من قلب المنطقة) -

صادرة عن دار مشكاة 2026.

- (قصاصات من زمن فات) - صادرة عن دار مشكاة

2026.

- (يوميات حرب ايران) - صادرة عن دار مشكاة

2026

- نُشرت أعماله في العديد من الصحف والمجلات،
منها: (جريدة أخبار الأدب، وجريدة القاهرة، ومجلة
أدب ونقد).

- نُوقشت أعماله في العديد من القنوات الإذاعية
والفضائية، منها: (قناة النيل الثقافية، والإذاعة المصرية
إذاعة البرنامج الثقافي، وجريدة أخبار الأدب، وجريدة
القاهرة، ومجلة أدب ونقد، ومنصة "بانداروش" للأعمال
الأدبية المسموعة على منصة "يوتيوب وآبل ميوزك"
وأنغامي).

للتواصل مع الكاتب :

Email: dramrmonir@yahoo.com

المحتوى

1	حب افتراضي
10	غير تقليدي
19	عمل سفلي
28	هروب
34	الشوكولاتة التي ساحت
43	سوشيال ميديا
52	تصفيق حاد
60	وشم أخضر داكن
69	طقس عائلي
75	ذكريات حبيسة

81	عندما انقطع الإنترنت
87	الكاتب في سطور
88	صدر للمؤلف
91	المحتوى
